ثقافة الحوار.. من أين تبدأ..؟!

● الإستراتيجية أو المنهجية التربوية ضرورية عندما نتحدث عن لغة الحوار لا بد أن يكون الوالدان والمربون والمجتمع على دراية تامة بالأساليب الصحيحة للتعامل مع كل مرحلة عمرية حسب خواصها واحتياجاتها..

نجلاء الشيباني

شاب: ضاعت حياتي.. وآخر: كل شيء موجود إلا لغة الحوار

ها هو الطالب الجامعي سعيد القباطي/ ١٩ عاماً/ يرى بأن أهله هم سبب ضياعه فالأهل في رأيه لهم عادات وتقاليد قديمة يتمسكون بها، ويقول: عندما نرغب في مناقشتهم أو محاورتهم في أمر ما يردون علينا بقولهم: أنتم ما زلتم صغاراً ولا تعرفون عن تجارب الحياة شيئاً، ودائماً والدي متسلط يفرض علي قراراته وأوامره دون نقاش ولا يسمح لي حتى بالخروج مع أصدقائي.. لهذا قررت أن أرضي نفسي ولا أسمح لأحد التدخل في حياتي وتركتهم لعاداتهم وأفكارهم القديمة.

يتفق الشاب محمد عبدالواسع/ ٢١ عاماً/ مع سعيد في أن الأب هو السبب في انعدام لغة الحوار بينهما، ويقول (إذا كبر ابنك خاويه) لكن والدي لا يعرف شيئاً عن هذا المبدأ فكل همه فرض الأوامر والمطلوب مني الطاعة والرضوخ لكافة أوامره بدون أدنى كلمة أقولها لاستفسار حتى إذا خرجت ضربني وإذا تأخرت حبسني في المنزل دون نقاش.. وأخيراً قام بطردي من المنزل دون أدنى تفاهم ومنذ ذلك اليوم وأنا لا أذهب إلى المنزل وتركت دراستي وأنا على هذا الحال منذ ثلاث سنوات، ويضيف: لقد ضاعت حياتي بسبب عدم تفهم والدي لرغباتي أو حتى سماعي ومناقشتي.

● أما صالح قاسم العزي يرجع سبب ضياعه وتركه لمدرسته إلى عدم اكتراث الآباء بشؤون أولادهم، ويسرد لنا تجربته في هذا الأمر حيث يقول: والدي دائم السفر وأنا أعيش مع والدتي التي لها اهتماماتها النسوية من خرجات وعزائم ولم تلتفت يوماً لي ولم تكلف نفسها حتى السؤال عني وعن احتياجاتي ورغباتي كل همهم توفير المستلزمات المادية لي ونسوا أني بشر من لحم ودم وشاب أحتاج لمن يسمعني ويناقشني في أمور كثيرة في حياتي أنا مازلت في بداية الطريق بحاجة لمن يسمعني ويرشدني وليس لمن يلبي لي رغباتي مهماً كانت ولهذا قررت أن أنظم لشباب يفهمونني وأجد من أتحاور معه..

● الشباب يبحثون عن أشخاص يتحاورون معهم ويناقشونهم في مشاكلهم والأقرب لهذا الأمر هم أسرهم وخاصة الأب والأم.

ربة المنزل شريفة قائد تقول: أصبحنا نسمع أن خروج الأبناء عن طاعة آبائهم وأولياء أمورهم بصورة مخيفة هذه الأيام وأعتقد أن ذلك يرجع في الأصل إلى البداية في التربية ومن أكثر الأسباب لتمسك الأسر وانضباطها هي سلوكيات الوالدين أمام أطفالهم وتعليمهم لغة الحوار ومحاولة تربيتهم بطرق الاقتناع لا بفرض الأوامر دون ذكر الأسباب لهذا الرفض.. كون الأبناء يتعلمون أكثر المفاهيم من الآباء فلغة الحوار مطلوبة لتربية الأبناء وضمان طاعتهم لأوليائهم.

أما إيمان محمد علي فهي ترى بأن مراقبة الأهل لأبنائهم والتفرغ لهم شيء ضروري لأنه في حال الانشغال عنهم لا يرون ما يفعلون وبذلك قد يجنحون ويرتكبون الأخطاء وتصبح سلوكاً من سلوكياتهم، فتراه قد انساق مع زميل أو صديق سيئ إلى طريق لا تحمد عقباه وقد لا يعرف الأهل عنه شيئاً ويبدأ بإزعاج الأهل بمتطلباته التي لا تنتهي ولا يقبل فيها النقاش حولها من أحد، فتارة يريد المال وتارة أخرى يريد الكماليات وإذا لم تلب طلباته أعلن تمرده دون وضع اعتبار لأحد أو سماع رأي أحد... وهذا طبيعي لأنه لم يتعلم لغة الحوار والنقاش منذ نعومة أظافره..

أما سعيد الأديمي -موظف- يرى أن الضغوط التي يمارسها الأهل على الأبناء سبب رئيسي لعدم تقبلهم للغة الحوار فهم منذ صغرهم لم يعتادوا على أن تناقش قضاياهم مع آبائهم فهم معتادون على سماع الأوامر والطاعة؛ لهذا ينصح الآباء بفتح أسلوب الحوار مع أبنائهم فإذا ما فعل أحد أمراً ما يجلس والداه معه ويحاوره ويفهمه خطأه.

أما عبدالحكيم الرميم يرى بأن الحوار عبارة عن فن فإذا أراد ولي الأمر من ولده مثلاً عدم الخروج أو منعه من تصرف أو سلوك معين يتعامل به بدون نقاش أو حوار مع ولده هذا الأمر يؤدي إلى ردود أفعال قاسية من قبل الأبناء لآبائهم كون الأسرة لها الدور الأساسي في اعتماد السلوكيات الحسنة لدى أبنائها..

يتفق معه المواطن عبده محمد الأديمي مضيفاً بأن واجب الأب تجاه ابنه لتجنب تمرده وانحرافه وهروبه من المنزل، عليه أن يستخدم كل الطرق الممكنة للوصول إلى قلب ابنه بلغة الحوار بينه وبين ولده، وهذا مطلوب من الأب لتعزيز الثقة ليس فقط مع ابنه بل مع جميع أفراد الأسرة.

وفي ذات السياق يعتقد الدكتور/ أحمد المجذوب أستاذ علم الاجتماع بأن الروابط الأسرية اختفت فلم تعد هناك مائدة تجمع شمل الأسرة ولم يعد هناك وقت كي ينظر كل طرف في عين الطرف الآخر كي يعرف ما هي همومه.. ولهذا يجب على الآباء معرفة احتياجات الشباب ورغباتهم. ويلفت علماء الاجتماع إلى أن المراهق يحتاج بصورة ماسة للحصول على كم وافر من التقدير الاجتماعي والمكاني التي تتناسب مع قواه وإمكاناته سواء في بيئته الأسرية أو التعليمية أو المحيط الاجتماعي العام...

والشاب يكاد لا يتوقف عن عملية البحث المستمر عن ذاته ولهذا نجد بعض الشباب يبذلون ما هو أكبر من طاقاتهم أحياناً فقط من أجل الظهور في المحيط الاجتماعي..

والحاجة إلى الإرشاد والتوجيه أمر مهم فالشاب يحمل فكراً نشطاً وحماساً وحيوية زائدة للحد الذي يمكنه من اتخاذ القرارات التي ربما تكون قرارات خطيرة أو مصيرية إلا أنه في المقابل يعاني من نقص شديد في الخبرات والتجارب، الأمر الذي يقف حائلاً دون إصابة الهدف فيقود بالتالي إلى الفشل والانهزام...

ويضيف الدكتور مجذوب أن الحاجة إلى الاستقلالية عند الشباب نقطة حساسة فهو يتمتع بثقة عالية في قدرته على اتخاذ القرارات لاسيما المصيرية منها، لكنه منقوص الخبرة التي تضمن سلامة هذه القرارات: لذا يشير المختصون إلى أنه ينبغي علينا كراشدين محيطين بهذا الشاب أن نعينه على اتخاذ القرار عن طريق النقاش والحوار بنقلنا لما نحمل من خبرات ومعارف إليه، إلا أن ما ينبغي الالتفات إليه هنا هو أن لا يتم نقل هذه الخبرات والتجارب في حالة من الفرض والسيطرة والوصاية من شأنه أن تؤثر على اتخاذ القرارات أو تحمل المسؤولية وبالتالي يكون هذا الشاب فرداً غير فاعل أو منتج في المجتمع الذي يعيش فيه.. كما أنه سيكون عاجزاً عن الاستفادة من التجارب التي يخوضها لجهله بجوانب القرار وخفاياه ولإحساسه بأنه ينفذ الأوامر بدلاً من تحليه بروح التحدي من أجل إثبات الذات....!

الديمقراطية ..تشكو غياب "ثقافة الحوار عند الأحزاب"!!

تحقيق/عبدالله حزام

الحوار صيغة حضارية وسلمية ويشكل الجذر القوي لبناء ديمقراطية اجتماعية وسياسية للمستقبل.

كما أن الحوار والنقاش الفكري يتطلب الجدية والمثابرة والاستمرارية .. أو هكذا يفترض حتى تتحول هذه الصيغة إلى ثقافة.

يقول الكاتب الصحفي نزار العبادي: مع أن الحوار يمثل جزءاً متأصلاً في الثقافة اليمنية منذ قدم التاريخ، إلا أنه في عصر الديمقراطية مر بتجارب فاشلة لأنه كان يصطدم بثقافة حزبية مغلقة على أفق ضيق جداً من الشفافية، ومن الثقة المتبادلة، وأحياناً ضعف الوعي بالمسئوليات الوطنية نتيجة لوجود أطراف لاتعرف بالضبط ماذا تريد في نهاية الحوار وإلى أي مدى مهاراتها في المحافظة على مسار آمن لمخرجات مطابخها الحزبية الخاصة..

ويضيف: إن قاعدة أي حوار ناضج يجب أن تقوم على أساس اعتراف متبادل بين الحزب الحاكم وأحزاب المعارضة، أي أن تعترف المعارضة بإيجابيات السلطة أو الحزب الحاكم، مقابل اعتراف الأخير بحقها في تكوين نفوذها السياسي القوي في الساحة الوطنية بمختلف الوسائل المشروعة..

ومن وجهة نظر العبادي: إن الإشكالية الأساسية القائمة في الساحة اليمنية هي أن أحزاب المعارضة غير قادرة على الفصل بين الحكومة ككيان مؤسسي عام وبين المؤتمر الشعبي ككيان حزبي سياسي، وبالتالي نجدها تنظر إلى كل مؤسسة رسمية أو مكتب حكومي على أنه جزء من التكوين الحزبي للمؤتمر الشعبي العام، ومتى ما ارتكب هذا المكتب الحكومي خطأ، أو أخفق في ممارسة معينة تأخذ الحزب الحاكم بجريرته، مع أن الحزب الحاكم لايملك من الدولة غير وزرائها، وماعدا ذلك خاضع لإدارة كوادر من مختلف قوى وفئات الشعب اليمني.. ومن هنا كان توتر علاقات الطرفين ينشأ عندما يتخذ مدير مكتب تربية أو مدرسة قراراً بنقل معلم إلى مكان آخر فيتم تفسيره على أساس إقصاء حزبي - مع أن الحالة تحدث أيضاً مع معلمين آخرين من أعضاء المؤتمر أو مستقلين.. وهذا مجرد مثل على مايحدث وبالإمكان القياس عليه..

وبصيغة السؤال يقول : هنا لابد من التفكير لماذا تلجأ المعارضة إلى ذلك..؟! ويجيب: بتقديري إن أحزاب المعارضة تجد نفسها أمام خيارات محدودة جداً، فهي لاتمتلك موارد بحجم ماهو متاح للمؤتمر.. ولا تمتلك نفوذاً وزارياً يساعدها على حشد المناصرين بحكم سعة العلاقات التي يتيحها أي منصب حكومي.. ولا تمتلك الخبرات الواسعة قياساً للحزب الحاكم الذي يكفيه الرئيس علي عبدالله صالح عن كل الآخرين، وبالتالي تلجأ إلى الممارسات الآنفة الذكر كبدائل رغم علم قياداتها بأنها وسائل غير سليمة.

من جهته، الحزب الحاكم يواجه صعوبة في التعامل معها، لأنه مهما حاول مساعدة هذه الأحزاب يفاجأ بعد يوم أنها تنكر محاولته، وأنه مهما حاول توسيع الممارسات الديمقراطية والحريات يفاجأ بأن هذه الأحزاب تحتشد في قلب العاصمة سابقاً وقبل الأحداث الأخيرة وبحماية أجهزة الأمن لتلقي بياناً تعلن فيه عدم وجود ديمقراطية وحريات في البلد، وتنهال نقداً - وأحياناً سباً - على كل ماهو تابع للسلطة ثم تعود أدراجها دون أن يمسها أحد.. ومن هنا لايجد تفسيراً لهذه الممارسة - كيف فعلت كل ذلك في نفس الوقت الذي تدعي أن نظام الحكم ديكتاتوري !!

ويخلص العبادي إلى القول :إن الحوار لايجب أن يتجاهل الإيجابيات، أما السلبيات فهي موضوع يتطلب بناء شراكة وطنية للعمل على معالجتها.. فهناك فعلاً أخطاء، وهموم وطنية كثيرة، وتقع المسئولية على الجميع في تحديدها أولاً ثم وضع الآليات لمعالجتها.. وأعتقد أن أحد أهم أسباب ضعف نفوذ المعارضة هو تنصلها من تحمل مسئولياتها الوطنية بأمانة. فهي لو لعبت أدواراً ثقافية واجتماعية ايجابية لبنت شعبية واسعة، في أوساط الجماهير لكنها مازالت حتى الحوادث المرورية تحمل مسئوليتها على عاتق الدولة مع أن المطلوب نشر وعي عام في المجتمع يمكن مشاركة الجميع فيه.

وحول غياب ثقافة الحوار في السياق الديمقراطي يقول منتدى الناقد العربي الدكتور عبد الواسع الحميري في أطروحة نشره المنتدى في وقت سابق :إن غياب ثقافة الحوار يعني ,فيما يعني ,غياب الثقافة الديمقراطية التي من شأنها أن تعلي من قيمة التعددية واختلاف وجهات النظر حول الأوضاع التي تتطلب طرحها على طاولة الحوار بين جميع الأطراف الفاعلة في الساحة الوطنية.

وإن الأحزاب التي لا تتحلى بثقافة الحوار لهي-في اعتقادنا-أحزاب مبرمجة ثقافياً؛ فهي تنطلق في رؤيتها لقضايا الوطن من وعي مبرمج مرده إلى طبيعة الثقافة الأحادية المغلقة التي تنطلق منها هذه الأحزاب السياسية؛ هذه الثقافة التي تنظر إلى عملية التغيير بوصفها عملية إحلال واستبدال، تبدأ بإحلال فكرها محلَّ فكر الآخر, وإحلال الفرد الذي ينتمي إليها ويمثل وجهة نظرها ,محل الفرد الذي لا ينتمي إليها ولا يمثل وجهة نظرها ,فهي تحاول استبدال هذا بذاك ,ووضع هذا موضع ذاك ,وغير واعية بأن عملية التغيير الحقيقي أعقد من ذلك بكثير, وأنها لا يمكن أن تنهض إلا في أفق التعددية والاختلاف, لأن التعدد والاختلاف هما أعمق ما في الحياة الإنسانية وجوهر ما يميزها عن الحياة الحيوانية أو القطيعية, فجميعنا يدرك أن الحياة الإنسانية الحقيقية لا تقوم على التماثل والنسقية ,بل تقوم على التعدد والاختلاف.

وتابع الحميري: (ما نعني بالاختلاف هنا ,الاختلاف في إطار الثوابت: الدينية والوطنية ,والمؤدي في نهاية المطاف ,إلى الاتفاق ,أو المشروط بشروط الاتفاق ,ولا نعني به الاختلاف الجالب للفرقة وتصدع النسيج الاجتماعي). فالإنسان-كما نعلم جميعاً- لا يتحاور مع نفسه ,أو مع الشبيه أو المثيل ,بل مع المختلف والمغاير, لذلك فالفكر الذي لا يقبل التعددية ,ولا يحاور الآخر ,لا يمكن أن يكون إلاَّ نقيضاً للفكر الديمقراطي الحر الذي ننشده جميعاً ,ونحرص على تمثله جميعاً.

وحد تعبيره : "نعتقد أن التغيير الحقيقي لأي واقع نطمع في تغييره لا يمكن أن يتحقق إلا في إطار ثقافة وطنية ديمقراطية تعلي من قيمة التعدد والاختلاف ,وتفتح الأبواب مشرعة أمام وجهات النظر المختلفة (طبعاً بما لا يمس ثوابت الوطن) ,وبحيث يصبح الواقع-الذي نطمع في تغييره-جزءاً من حركية الحياة الفكرية والسياسية".

بالحوار تتقارب النفوس وتتضح القناعات..!!

تحقيق/صفوان الفائشي

تبدأ كلمة التمرد لدى الأبناء مع كلمة (لا) أو مع رفض الأوامر ويمكن أن يتصاعد نحو إيذاء النفس أو الغير أو الهروب من المنزل والانحراف .. فن الحوار إذاً مطلوب للتربية الصالحة لدى الشباب .. لهذا السلوك أسباب منها ماهو خاص بالإعلام والفضائيات ومنها ما يخص القيم والمناهج التربوية المدروسة ودورها في تعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية لدى الشباب بشكل عام..

وبترسيخ ثقافة الحوار في المجتمع يساعد هذا الأمر على الارتقاء نحو مجتمع أفضل.

وحول طرق نشر ثقافة الحوار يرى الدكتور/عادل الشرجبي - أستاذ علم الاجتماع بجامعة صنعاء - أن هناك عدداً من العوامل التي تساعد على نشر ثقافة الحوار في المجتمع يأتي التعليم في مقدمة هذه العوامل ويعتبر من أهم وسائل وطرق نشر ثقافة الحوار في المجتمع لأنه يهتم بطبقة كبيرة وشريحة عريضة ومهمة ألا وهم فئة الشباب بدءاً بما قبل التعليم الابتدائي وهي مرحلة الروضة والتمهيدي ومن ثم التعليم العام والتعليم العالي المتمثل في الجامعات والكليات والمعاهد الحكومية والأهلية.

لذا ينبغي على المؤسسات التعليمية في البلد أن تهتم بنشر ثقافة الحوار في أوساط الطلاب من خلال وضع الخطط والبرامج التي تحقق الأهداف المنشودة منها في ما يختص بنشر ثقافة الحوار.

ثم يأتي دور التربية الأسرية التي تؤثر على تنشئة وتربية الأطفال وما يتلقاه الطفل من تربية وتوجيه في بداية حياته في ما يسمى بمرحلة الطفولة باختلاف مستوياتها ,ومتى ما كان الوالدان على قدر كبير من الفهم والعلم والمسئولية والأخلاق أدى ذلك إلى التنشئة السليمة للأبناء وتعويدهم على الحوار الهادف والبناء من خلال الممارسة والحوارات العلمية والسليمة التي تتم بينهم وبذلك يتم غرس ثقافة الحوار لهم في بداية حياتهم ,وبهذا تعد التربية الأسرية عاملاً مهماً ورافداً حيوياً لنشر ثقافة الحوار بين الأبناء.

كما يلعب الإعلام دوراً مهماً في حياة الأمم والشعوب خاصة في ظل التطورات الهائلة التي يشهدها العالم الآن من تفجر في عالم المعرفة وانفتاح للقنوات الفضائية بشكل كبير جداً مما أدى إلى تنافس عظيم بين القنوات ووسائل الإعلام المختلفة ,وعليه فإن المسؤولية تقع على رجال الإعلام في وضع الخطط والبرامج الكفيلة بنشر ثقافة الحوار بين أفراد المجتمع وطبقاته المختلفة وزيادة وعيهم بأهمية الحوار من أجل تقدم ورقي الشعوب.

ومن الطرق التي يتم من خلالها نشر وتعزيز ثقافة الحوار لدى كافة أبناء المجتمع اللقاءات والأنشطة الثقافية وتمثل رافداً مهماً لتوعية الجمهور ونشر الثقافة في أوساطه وخاصة ثقافة الحوار ومشاركة شرائح المجتمع المختلفة من الرجال والنساء والأكاديميين والتربويين والأساتذة والطلاب ,في مختلف البرامج لتتحقق الأهداف المرجوة منها.

ويشير المختصون إلى أنه وفي ما يتعلق بثقافة الحوار فهناك مجموعة من الحقائق لابد من استيعابها حتى تكون هناك انعكاسات سلبية قد تنجم عن حوار أحادي الجانب، من هذه الحقائق التي يجب معرفتها أن يدرك الجميع أن لكل فرد شخصيته المكونة من الأفكار والرؤى والثقافة والمبادئ والتطلعات، وأن الاختلاف في وجهات النظر أمر واقع ومن طبيعة البشر، وأنه من حق كل فرد أن تكون له اجتهاداته وآراؤه وقناعاته، وأن بالحوار تتقارب النفوس وتتضح القناعات، وبه أيضاً نزيل مشاعر الكبت ونحرر النفوس من الصراعات والمشاعر العدائية والمخاوف والقلق، كون الغرض من الحوار هو التلاقح والوصول إلى الرأي الأفضل وليس شرطاً أن يتنازل طرف عن آرائه وقناعاته أو يرضخ للطرف الآخر.

وبالتالي فإن هذه الثقافة قائمة على أهداف واضحة وجيدة، وقوانين عادلة يتساوى أمامها الجميع، فنحن لا نستطيع محاورة شخص سلّب منه حقه أو تعدّاه غيره بدون وجه حق، وهي ثقافة لا تسمح بالاختلاف فحسب بل ترحب به لأن فيه إثراء للثقافة وتعميق للصلات بين الأفراد.

لكن ثقافة الحوار تقوم على ثلاثة عناصر هي الاحترام حيث توجب علينا معاملة الجميع باحترام، احترام عقولهم وآرائهم وعواطفهم ليسود الاحترام في المجتمع، والعدل فإذا كان العدل أساس الملك، فالثقافة التي تتبنى مبدأ العدل تضمن لأفرادها الرقي والتقدم، وتمنع الوقوع في شرك العنف.

ثم التوازن فالثقافة التي تميل بأفرادها نحو تنمية جزء واحد من أجزاء النفس البشرية، تؤدي إلى ظهور شخصيات مشوهه، فالإنسان روح وجسد، عقل وعاطفة، وما لم تراع الثقافة كل هذه الجوانب فإنها لا شك ستحرم الأفراد من أن ينمو نمواً سليماً.

ناهيك عن أن الثقافة نتاج اجتماعي يشترك فيه جميع الأفراد، ولا تقبل احتكار أي فئة لها، ولو خضعت لأي فئة مهما كان هدفها نبيلاً، فإنها تصيب أفرادها بالازدواجية، ويصبح الفرق شاسعاً بين الغلاف المحسَّن البرّاق والجوهر المعطوب.

وعليه فقد كانت المؤسسات التعليمية وستظل أهم حاضن للثقافة، ومن خلالها ووعي العاملين فيها يمكن أن تعالج الانحرافات، ويصحح المسار، وتعود الأمة لممارسة دورها الذي يشارك فيه الجميع بالتساوي.

ولكي تكون ثقافة الحوار سائدة ومعمقة لابد من فتح الأجواء للشباب والمثقفين للمشاركة في كل مشاريع ثقافة المجتمع المدني، بعد إزالة الشكوك والحواجز وعدم الثقة، والسماح بتواصل الأطياف الثقافية الداخلية قبل أن نفتح حواراً مع الآخر، وتبني برنامج طموح لنشر ثقافة الحوار ابتداءً من تدريب المعلمين و إدخال مهارات الاتصال ضمن المناهج الدراسية، وجعل الحوار جزءاً معتمداً في كل منهج لأن هذه الطريقة تمنح الطلاب فرصة التفكير والاكتشاف، كما تمنحهم الثقة بأنفسهم وتدفعهم لمزيد من التعلم، وكذلك الاهتمام بالبحوث والدراسات واستطلاعات الرأي، وتشجيع الجميع على المشاركة فيها لتكون وسيلة لنشر ثقافة الحوار، وإقامة نوادي للطلبة في المدارس والجامعات لنشر ثقافة الحوار وتعلم آدابه، والعمل على استضافة الحضارات، من خلال قيام المدرسة باستضافة حضارة ما لمدة شهر كامل، يتعرف الطلبة خلالها على ما يميز هذه الحضارة، يقرأون إنتاجها ويتعرفون على أهم معالمها، وفي نهاية الشهر يُقام احتفال بهذه الحضارة يُدعى إليه أفراد من المجتمع، ومن العناصر التي تؤصل للحور وتعزز ثقافة الحوار تنمية وتطوير الأنشطة اللامنهجية، التي من شأنها استثمار مواهب وقدرات الطلبة الإبداعية في شتى المجالات الثقافية والفنية والرياضية وغيرها.

يؤكد مختصو علم النفس التربوي، بأن الحوار يعد أهم البنى الأساسية في تكوين شخصية الفرد لدى المجتمع، وذلك لما له من أهمية في حركة التفاعل الاجتماعي في البيئة المجتمعية، ويعتبر أحد أركان التربية والتنشئة الاجتماعية، ويمر من خلال عدة مراحل لتوثقه في شخصية الفرد الاجتماعية وهو يبدأ من الأسرة من خلال العلاقة بين الأبناء والآباء والتعامل الأسري تجاه أبنائهم بما يقوّي جانب الحوار لديهم والفرصة متاحة للجميع لتغيير العلاقة بالأبناء، تغييراً ينعكس إيجابياً في التعامل تجاههم، سواء في التفاهم والحوار معهم، أو احترام شخصياتهم المستقلة، أو قبول الآباء لعيوبهم ونقائصهم.

تحقيق/ نجلاء الشعوبي

لغة الحوار أمر ضروري لجذب الشباب نحو أسرهم..!!

وهذا الأمر يضع الأسرة أمام ثلاثة محاور: التفاهم والاحترام والقبول، وبالإمكان تحقيقه من خلال العلاقة بالأبناء بشكل يقرب العقلية إلى مستواهم وتكون أفقية، كعلاقة الصديق بصديقه، التي يغلب عليها الحوار والتفاهم، أما إذا كانت العلاقة رأسية كعلاقة الرئيس بمرؤوسه، ويغلب عليها الأوامر والنواهي، لا شك سيكون تأثيرها الإيجابي قليلاً.

ومن علامات نجاح التربية كما يصفها المختصون هو نجاح الحوار بين الأبناء بالطريقة التي تكسب رضاء الوالدين، برغم أنه توجد عدد من الأسباب والأخطاء التي تؤدي إلى فشل الحوار مع الأبناء نتيجة استخدام الآباء لأسلوبين خاطئين هما الأول: عندما يرفض الأب سماع أي شيء من ابنه، والخطاء الثاني: عندما يستخدم الأب أسلوب المحقق في التعامل بشكل قاس أقرب إلى الأسلوب العسكري مع الأبناء، أو الانشغال عن الأبناء وعدم التقرب منهم أكثر لحل قضاياهم ومشاكلهم، وفي هذا الأمر يشترك الوالدان بهذا الموضوع مما يضعف الثقة بين الأبناء ووالديهم ويوجد نوعاً من الحواجز بينهم ويضعف الحوار.

وكي تنجح الأسرة في تحقيق أهداف التفاهم بين أفرادها ووجود لغة الحوار الأسري الإيجابي والموضوعي يرى المختصون بأنه لابد من أن يفتح الآباء قلوبهم لأبنائهم بحيث يسود جو المحبة والتآلف بين الأفراد، لأن غياب الحوار ولجوء الآباء إلى العتاب والقسوة والاستهزاء والتجريح واستحضار الأخطاء للأبناء يكون سبباً في وجود فجوة بين الآباء وأبنائهم مما يؤدي إلى كثرة المشاكل بأنواعها النفسية والاجتماعية ووجود القلق والضجر والكآبة والتوتر والملل، والحاجة للحب والانتماء، وعندما لا يجد الأبناء من يحتويهم لمشاكلهم ويناقشهم اهتماماتهم في محيط أسرهم مما يدفعهم إلى البحث عن من يجدون عندهم ضالتهم في سماعهم ومناقشتهم واحتوائهم، ولذلك يعتبر الحوار بين الآباء والأبناء رغبة واستعداد من كلا الطرفين وتقف أمام هذا التكامل مشكلات وعوائق عديدة قد تكون من ضمنها جهل الأب بثقافة مجتمعه والمرحلة السنية التي يعيشها ابنه ومتطلباتها، واعتقاد بأن طريقة التفكير للأبناء هي نفسها طريقة آباه، رغم اختلاف المشكلات التي يمر بها الأبناء عن المشاكل التي مر بها الآباء، وقد لا يكون الأب ملماً بموضوعات الأبناء وعدم مسايرتهم والاقتراب من تفكيرهم والتعرف على ميولهم واتجاهاتهم وطموحاتهم حتى لا يشعر الأبناء أن الحوار مع الآباء يسير في طريق مسدود وعدم الوصول إلى وجهة نظر صحيحة ترضي كل الجوانب.

ومن المشكلات والعوائق كما يصفها علماء النفس هو عدم وجود الثقة التي تكون بين الآباء والأبناء والتي تعتبر الأرضية المشتركة التي ينشأ عليها الحوار، لأنه إذا شعر الابن أن والديه لا يثقان في تصرفاته توقفت لغة الحوار تلقائياً وعدم الإحساس بالراحة في الحديث معهما، والإنصات هو أبرز الأساسيات للحوار مع الأبناء وبانعدامه يختفي الحوار سواء كان الإنصات من الأبناء أو العكس، وكذلك عندما يصر الأب على رأيه فلا يحب الأبناء أن يدخلوا في حوار ينتهي بفرض وجهة نظرهم، ويصر الأب على رأيه فلا جدوى من النقاش لذلك يجب أن يكون الأب صبوراً في التعامل مع أبنائه بهدوء واحتواء كبير في آرائهم وأفكارهم، أن يعلمهم كيف ينصتون ويتحدثون بأدب الحوار والتعامل مع وجهات النظر، وهناك الكثير من القواعد والأسس التي تساعد وتعزز مسألة الحوار بين الأبناء والآباء، ويلعب الجانب التربوي دوراً كبيراً في تعزيز الحوار واستيعابه لدى نفسية الطلاب بما يتوائم مع المجتمع.

فقد أكد علماء النفس على أن السنوات الأولى من عمر الطفل الركن الأساسي لتكوين شخصيته المستقبلية، تتطلب التنشئة الاجتماعية لدى الطفل العناية المستمرة والوعي الذهني من قبل ذويه في بناء شخصيته خُلقياً واجتماعياً ضمن جو أسري آمن يدفع إلى تكوين سليم لشخصيته المستقلة مستقبلياً، وهذه الأجواء الأسرية السليمة تتوفر بفضل وجود قدر كاف من الوعي من قبل الأهل سواء الأب والأم في آن معاً والمامهم بأسس العناية بطفلهما وشروط توفير الجو الأسري المستقر وعنصر التعامل مع وضعية طفلهما وفق وضعيتهما المهنية والمعيشية، وتعتبر الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تحتضن الطفل وتمده بالخبرات اللازمة في بناء قدراته واكتساب عناصر ثقافته الاجتماعية المحلية، حيث تتولى الأسرة في إعداده خلقياً وسلوكياً بما يتناسب مع هويته الاجتماعية المحيطة به ووفق ما يسودها من عادات وتقاليد وأعراف وديانة ممتدة عبر ثقافته الاجتماعية المحلية، ولذلك يجب أن يكون الأهل على وعي بمرحلة المراهقة لأنه حينما يجد المراهق أن شخصيته محترمة، من خلال إشعاره بأنه قد بلغ سناً يُعتمد عليه، وأنه له الحق في التعبير عن رأيه، وإشراكه في بعض القضايا الأسرية، وغيرها من سلوكيات تنمي فيه روحية الاحترام وتشعره بأهميته فإن طاقاته ومواهبه وكفاءاته الكامنة ستتفجر فيما يخدم المجتمع، وليختار الأهل الوقت المناسب للحوار مع المراهق، بحيث يكونوا غير مشغولين وليخففوا من التكليف والتوبيخ ومحاولة إيضاح الأسئلة وأن تكون غير مباشرة، وإتاحة له مجالاً للتعبير عن نفسه، وأن لا يتم استخدام ألفاظ جارحة، ويجب توجيه المراهق بصورة دائمة وغير مباشرة، وإعطاء مساحة كبيرة للنقاش والحوار معه، والتسامح معه في بعض المواقف الاجتماعية، وتشجيعه على التحدث والحوار بطلاقة مع الآخرين، وتعزيز ثقته بنفسه.

ويضيف علماء النفس بأن عدم إتاحة الفرصة لنقاش الأبناء تكون النتائج سلبية منها: عند غياب الحوار يقود الفرد إلى الرضوخ والاستجابة الظاهرية فيكون الفرد غير قادر على إبداء رأيه أو النقاش، فيتظاهر بالانضباط، أيضاً يؤدي إلى ضعف الشخصية أو يتخذ قراراً أو موقفاً ومهمته فقط التسليم والإنصات فحسب، واللجوء للعناد، فحين يعيش الشخص في بيئة تقدر الحوار سيعتاد على التعبير عن مواقفه تعبيراً هادئاً متزناً وسيملك أدوات للتفاوض حول مطالبه، أما حين يفقد ذلك فقد يلجأ للعناد والإصرار على مواقفه دون مبرر، ممارسة التسلط مع الآخرين، فالبيئة التربوية التي تفقد الحوار يزداد فيها تسلك المربي وعن إصراره على مواقف غير مقنعة، وهذا يؤدي إلى تشرب الناشئ هذا السلوك واعتياده عليه، وضعف القدرة على التعبير عن النفس، فجو الحوار يسمح له بالحديث عن نفسه وإبداء رأيه والاعتراض والنقاش مما يزيد على التعبير المتزن عن نفسه، ضعف الثقة والمحبة بين المربي والمتربي، فجو الحوار يتيح احترام الطرف المقابل، ويشعره بوزنه مما ينمي مشاعر الحب والتعاطف بين الطرفين ولذلك فالحوار له قاعدة نفسية وأسرية واجتماعية للفرد من بداية حياته وخلال تعامله مع مجتمعه وكل مراحل حياته.

اليوم الدراسي.. اهتمام لا يتسع للحوار

تحقيق/ وديع العبسي

سقراط ومن قبله أفلاطون خلصا في ذات اجتهاد إلى "أن العلم لا يُعلَّم، ولا يدوَّن في الكتب، بل يكشف بطريق الحوار"، فهل تُقارب الطرائق التعليمية لدينا هذا المبدأ في مؤسسات التعليم؟

تؤكد الكثير من الدراسات بان طرق التدريس في المنطقة العربية ما تزال في غالب الأحيان تعتمد "التلقين والحفظ والاسترجاع، بعيداً عن التطبيق والتجريب، ومن ثم فهي لا تؤهل الطلاب للحوار والمناقشة والتفكير وإبداء الرأي؛ فضلاً عن وجود علاقة إجبار من قبل المعلم وإذعان من جانب الطالب، كما أن بعض المعلمين ليسوا مؤهلين بدرجة كافية قبل الخدمة أو أثنائها، ولا يشاركون في جهود التطوير".

بالنظر إلى الواقع يتجلى مقدار الأثر السلبي لغياب اعتماد مبدأ المشاركة والمحاورة في العملية التعليمية، ويذهب البعض خطأً إلى أنه من أجل بلوغ النتائج المرجوة ينبغي أن يكون لهذا الأمر مؤسسات مستقلة فيما المدرسة تعد مؤسسة اجتماعية مساعدة بصورة كبيرة في تنشئة الطالب على النحو المطلوب من التفاعل الاجتماعي وتمكينه من تحديد الشكل الذي يأمله في المستقبل.

وتؤكد الدراسات أن الأمر لا يقف عند مسألة التنشئة على قبول الآخر وانتهاج مبدأ الحوار في حل الخلافات والتدريب على التفاوض في القضايا الاجتماعية المختلفة، وترسيخ مبدأ الاعتراف المتبادل بحق الاختلاف، وإنما العملية التعليمية في المنطقة العربية عموماً ومنها اليمن تعاني ضعفاً وقصوراً في الاشتمال على الأساليب التربوية المجدية والمؤهلة إلى نتائج تقلل من المظاهر السلبية في المستقبل.

وتؤكد رسالة أكاديمية بأنه "لابد لمواجهة هذا التدهور من إعادة النظر في فلسفة التعليم عندنا ,والتحوّل من أسلوب الحفظ والتلقين ,ومن دور الطالب متلقياً وقابلاً ومطيعاً لما يلقّنه إياه معلمه ,إلى فلسفة التعليم عن طريق الحوار والمناقشة والتدريب على التعلم الذاتي ,وأن ندمج التعليم بالثقافة بشكل متواز ,وأن تصبح برامج الثقافة جزءاً من مناهج التعليم, كالفنون بكل أنواعها من موسيقى ومسرح ورسم وتربية بدنية إلى الثقافة العامة والقراءة الحرّة ,وأن تصبح المكتبة جزءاً من المنهج الدراسي".. وتضيف بأن النظرة الموضوعية إلى هذه القضية تقتضي "الاعتراف بغلبة الطابع النظري على مناهج التعليم، واستمرار المظاهر السلبية في بعض جوانبه، مثل: الدروس الخصوصية، وارتفاع كثافة الفصول، والمركزية الشديدة في إعداد وتطوير المناهج بمعزل عن المدرسة والمعلّم. ولا تقتصر المعوقات على المنهج دون طرق التدريس، ودور المعلم، والتقويم التربوي، فكل جانب منها يعاني مشكلات ومعضلات؛ فطرق التدريس مازالت تعتمد في معظم المدارس على التلقين والحفظ والاسترجاع، بعيداً عن التطبيق والتجريب، ومن ثم فهي لا تؤهل الطلاب للحوار والمناقشة والتفكير وإبداء الرأي؛ فضلاً عن وجود علاقة إجبار من قبل المعلم وإذعان من جانب الطالب، كما أن بعض المعلمين ليسوا مؤهلين بدرجة كافية قبل الخدمة أو أثنائها، ولا يشاركون في جهود التطوير".

ويتفق الجميع بأن النمطية هي سيدة الأساليب التعليمية في مدارسنا.. العلاقة بين المعلم والطالب تتسم بالسلطوية.. تقول الدكتورة إلهام عبد الحميد في كتابها (التنشئة السياسية في العملية التربوية):"فإذا كانت العلاقة تتسم بالسلطوية والديكتاتورية وترفض الآخر فإنها ستساهم في تنمية العزلة والاغتراب وعدم الإحساس بالمسئولية والنزعة الفردية، وعدم جدوى التعامل مع الآخرين وفقد الثقة بهم".

ويؤكد القانون الدولي للشباب بأن المؤسسة التعليمية العربية تكرس قيم التلقي والخضوع حيث لا تسمح بالحوار الحر والتعلم الاستكشافي النشط ولا تفتح من ثم الباب لحرية التفكير والنقد، بل تضعف القدرة على المخالفة وتجاوز الراهن تغذيها مؤسسات إعلامية وطنية تعزز قيم الخضوع والفقر المعنوي.